قرأت العدد الماضي من "الآداب"

الأبحاث

احمد القصير

١ ـ هل تعبر مواقف سارتر عن فلسفته ؟

بالرغم من أن العدد الاخير من « الآداب » لا يحتوي الا على القليل من الدراسات والتعليقات غير الادبية فان هذا القليل يعكس بعض الجوانب الهامة في الصراعات الدائرة الان على الصعيد العربي .

وربما كانت شهريات رئيس التحرير مثلا تمثل انعكاسا لبعض ما يدور في الحياة السياسية والثقافية في لبنان وفي اتحاد الكتاب اللبنانيين من آثار الصراعات الدموية التي شهدها لبنان في الشهور الاخيرة . ويلفت الانتباه بين شهريات الدكتور سهيل ادريس تعليق حول اعلان « سارتر » انقطاعه عن الكتابة لاصابته بالعمى ، فربما كانت كلمات هذا التعليق غير بعيدة الصلة بما يجري الان على مسرح الحياة الثقافية اللبنانية .

ويسترعي الانتباه في هذا الصدد قول الدكتور سهيل ادريس ان سارتر « كان يجسد في كتاباته ومواقفه نموذج المفكر الملتزم بقضايا الشعوب ، المدافع عن حقوقها ونضالها من أجل الحرية » وانه اتخذ موقفا لا يتسق مع هذا المسلك « اذ رأيناه ينحاز الى جانب اسرائيل والصهيونية » قبيل حرب حزيران وفي اثنائها ، وانه « فقد بصيرته منذ أسدلت الصهيونية على عينيه غشاوة كثيفة امام معسكرات اللاجئين في غزة » قبيل عدوان عام ١٩٦٧ .

والمسالة على هذا النحو تبدو للدكتور سهيل ادريس مدعاة للحيرة والتناقض او هكذا تبدو للقارىء . فهل كانت مؤلفات سارتر ومواقفه في مجموعها قبل انحيازه للصهيونية في عام ١٩٦٧ تعبيرا عن نموذج المفكر الملتزم بقضايا الشعوب ؟ وهل جاء هذا الانحياز نتيجة للضغط الصهيوني فحسب او مجرد فقدانه للرؤية ؟

هنا ينبغي الاشارة بوجه خاص الى أن بعض مواقف سارتر التي مثلت انحيازا لبعض قضايا الشعوب انما تتناقض في الواقع مع جوهر فلسفته وكتاباته ، خاصة مفهومه الفلسفي عن الحرية . وربما كانت مواقف سارتر تلك انعكاسا لعجز فلسفته الوجودية والتاكد من عدم قدرتها على حل أزمة الفلسفة البرجوازية .

ففي الوقت الذي اخذت فيه شعبية وجودية سارتر في الانحدار (مع نهاية الستينات) نجد بروز مواقف سارتر « الملتزمة بقضايا الشعوب » ، التي أبقت عليه في دائرة الضوء .

٢ ـ اليسار المصري وعبد الناصر

وتجيء دراسة سامي خشبة عن « اليسار وتجربة عبد الناصر » كمحاولة لالقاء الضوء على ما يجري في مصر من صراعات حول طريق المستقبل وان اتخذ شكل تناول الماضي .

فدراسة سامي خشبة تتناول بالنقد والتحليل ثلاثية الدكتور فؤاد زكريا التي نشرتها « روز اليوسف » المصرية عن « جمال عبد الناصر واليسار المصري » .

وتؤكد هذه الدراسة ان الدكتور فؤاد زكريا تجاهل السؤال الذي طرحته روز اليوسف (ماذا كان دور اليسار الحقيقي في ايام التجربة الناصرية ، والى أي حد كان مسؤولا عن الصواب والخطا فيها ؟) ثم تبرز المغالطة المنهجية التي تميزت بها مقالات الدكتور فؤاد زكريا . بل ان الدراسة ترى ان السؤال في حد ذاته يمثل مغالطة من جانب روز اليوسف .

وهنا نقول أن سامي خشبة وضع يده على البداية الصحيحة لتناول القضية ومحاولة الاجابة على سؤال روز اليوسف ـ لكنه لم يمض حتى النهاية في توضيح الاسس غير الواقعية التي نهضت عليها تلك المغالطة . فلم يناقش الاسس الخاطئة الواحدية الجانب التي جعلت الدكتور فؤاد زكريا يصل الى مطالبة اليسار بان ينفض يده من التجربة الناصرية الفاشلة الآيلة للسقوط .

ومع ذلك فينبغي ان نؤكد أن دراسة سامي خشبة اكدت امرين : (١) ضرورة الانطلاق من المعطيات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي ساهمت في صياغة التجربة الناصرية . (٢) محاولة تحديد المضمون الحقيقي لدولة ٢٣ يوليو ودورها التاريخي .

ولا شك انه يصعب تجاهل هذه العوامل عند تقييم ثورة ٢٣ يوليو ودور اليسار . ولهذا وصل سامي خشبة الى القول بان الدكتور فؤاد زكريا « لا يكشف ان ما كان مجرد « فخ » لليسار في البداية ، ومحاولة من السلطة للسيطرة على موارد المجتمع لتحقيق برامجها الخاصة دون نبصر نظري بمصير ثمرات تلك البرامج قد تحول الى « واقع » جديد ، او على الاقل اضافة بالغة الاهمية والحسم على الواقع الذي كان قائما ، وهي اضافة مستمرة النمو بكل نتائجها ومضاعفاتها وما يترتب على استمرارها من التزامات » .

وسنحاول الان ان نعود الى المغالطة المنهجية للدكتور فؤاد زكريا لنناقش الاسس الخاطئة التي نهضت عليها استنتاجاته . ولا ينبغي ان نغفل في هذا الصدد ايضا الاخطاء التي وقعت فيها الردود والتعليقات التي نشرت تعقيبا على « ثلاثيته » .

واذا جاز لنا ان نحدد ما نراه خطأ اساسيا في منطلقات الدكتور فؤاد زكريا نقول : (١) انه اطلق تعميما « بحقيقة » جزئية معينة ليجعلها تنسحب الى حقيقة كلية . ونعني بذلك أن رصد بعض مواقف لتيار معين بين قوى اليسار الماركسي في مصر وحاول ان يجعلها تنطبق قسرا على مواقف كل قوى اليسار . ولا يفوتنا ان نذكر ايضا انه لم يكن موفقا حتى في رصده وتقييمه لمواقف من مثلوا ذلك التيار .

ويكفي في هذا الصدد آن نذكر ان الدكتور فؤاد زكريا اخطأ حينما قال ان عبد الناصر قدم رشوة لليسار حينما وضع بعض الشخصيات اليسارية في مناصب هامة . ولا بد أن يعرف الجميع ان هؤلاء الذين تحدث عنهم الدكتور فؤاد زكريا كانت لهم مكانتهم في الحياة السياسية والثقافية بل آن وظائفهم العادية كانت اهم من الوظائف التي عينهم فيها عبد الناصر . بل ان بعض الماركسيين عينوا كرؤساء لمجالس ادارة وذلك لكي ينم ابعادهم عن وظائفهم الاصلية مثل التدريس بالجامعات .

غير ان ذلك الذي ذكرناه انفا ليس سوى مسالة هامشية . ولم يدفعنا الى التطرق اليها سوى ذلك التفسير المبتسر من جانب البعض لتصوير بعض الماركسيين وكانهم حصلوا على غنائم واسلاب .

وانصافا للدكتور فؤاد زكريا نقول انه ليس وحده الذي ينفرد باطلاق حقيقة جزئية وتعميمها على حقيقة كلية . فان معظم الكتابات التي تتعرض لدور اليسار تتجاهل مواقف اليساريين الماركسيين المصريين

الذين لم يكفوا عن محاولة مواجهة سلبيات ثورة يوليو والذين تعرضوا للاضطهاد والاعتقال طوال الفترة من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧١ .

وقد يكون لمن يرتكبون خطيئة اطلاق الجزء على الكل بعض العذر ، خاصة ان بعض اليساريين كانوا في مواقفهم التبريرية ـ وحتى في ردودهم على مقالات الدكتور فؤاد زكريا يركزون على جوانب الالتقاء مع عبد الناصر ويغفلون جوانب الصراع .

ويقودنا ذلك الى حقيقة هامة ، وهي انه يستحيل تقييم الدور الحقيقي لليسار الماركسي المصري دون معرفة المعطيات والصراعات التي أثرت في صياغة اسس نظام ثورة ٢٣ يوليو ومعرفة محاولة اليسار لدفع ثورة يوليو لان تحكم بأسلوب ديمقراطي وعدم تمكنه من ذلك نتيجة لمعطيات الفترة الاولى في حياة ثورة ٢٣ يوليو والتي امتدت تأثيراتها الواضحة الى السنوات اللاحقة للثورة وعلى امتدادها .

فان تصاعد الحركة الشعبية في الفترة السابقة على الثورة ، بالاضافة الى الآفاق التي وجدت مع قيام الثورة ذاتها جعل القوى الاستعمارية الخارجية وقوى الرجعية الداخلية تبذل محاولات مستميتة لابعاد ثورة يوليو عن المسار الديمقراطي ثم احتوائها وتصفيتها . ومن ثم ركزت جهودها على ضرب اليسار وتقليص دوره في الحياة السياسية والتخويف من الشيوعية . وكانت هذه القوى ترى أن الديمقراطية تتيح للضغط الشعبي أن يمارس تأثيره وبالتالي يفتح الطريق لليسار الماركسي والشيوعية . ولذلك رأينا تلك القوى تقدم بعض التنازلات رغم انها كانت تبيت لتصفية الثورة ذاتها . وقد يفسر هذا السر في ان الاخوين مصطفى وعلي امين مثلا اتخذا موقف الهجوم على الديمقراطية في ذلك الحين والزعم بتأييد الثورة في نفس الوقت .

واذا وضعنا في اعتبارنا الظروف التاريخية وطبيعة الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في الاعوام الاولى من الثورة سندرك ان السلبيات في اسس نظام ثورة ٢٣ يوليو قد جاءت بعد صراع ، جاءت حصيلته في غير صالح اليسار ورغما عنه ولصالح تقييد الديمقراطية .

فاولا ، تم ضرب التيار الماركسي داخل مجلس قيادة ثورة يوليو في يناير ١٩٥٣ حينما تقرر الغاء الاحزاب وخروج يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة .

وثانيا ، كانت المنطلقات الاساسية للاغلبية من قادة ثورة يوليو هي المنطلقات الوطنية التي تحلم بالتقدم في اطار النظام البرجوازي . وكانت هذه المنطلقات تعبر عن الاتجاهات السائدة في المجتمع في ذلك الحين . ومن هنا يصعب الموافقة على الصيغة التي تردد كثيرا والتي جاءت ايضا في دراسة سامي خشبة والتي تقول ان ثورة ٢٣ يوليو لم تكن « تستند الى نظرية جاهزة فمضت تبحث عن الانسانية الفكرية في كل منبع » .

فالتطورات اللاحقة هي التي احدثت اضافات تقدمية لمنطلقات ثورة يوليو بالاضافة الى تطور منطلقات قادتها وان كانت هذه المنطلقات قد ظلت موصولة بشكل ما بالاسس التي تمت صياغتها بعد أزمة مارس ١٩٥٤ والتي جاءت في صالح تقييد الديمقراطية وعلى عكس رأي اليسار الذي كان يطالب بأن تحكم ثورة يوليو بأسلوب ديمقراطي .

وحينما نقول ان تلك الاضافات التقدمية ظلت موصولة بشكل ما بالاسس التي صيغت في السنوات الاولى للثورة ، خاصة بعد أزمة مارس ١٩٥٤ ، فان هذا الاتصال كان سائدا بشكل ما في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ولم يكن قاصرا على فكر « الزعيم » وحده . فالذين كانوا يتحدثون في الستينات (وبينهم الدكتور فؤاد زكريا) عن تحديات عصر التكنولوجيا وما يرتبط بتلك التحديات من تغيير مبادىء الماركسية ـ حسب زعمهم ـ وبالتالي تقلص او انتفاء دور الماركسيين في الحياة المصرية انما كانوا يعبرون بذلك عن تلك الصلة التي ظلت موجودة بين الاضافات التقدمية والمنطلقات الاولى .

وتلك حقيقة تاريخية لا يملك احد تغييرها او تجاهلها ، ولكننا نقول للذين كانوا يعبرون عنها عليكم أن تكفوا عن محاولة اتهام اليسار بانه المسؤول عن سلبيات ثورة يوليو وحكم عبد الناصر . فالتراث النضالي لليسار المصري كان مؤثرا بالرغم من كل المعوقات في صياغة الايجابيات .

القاهرة

القصائد

شوقي خميس

قضيتان تدور حولهما القصائد الخمس في عدد « الآداب » الماضي ، اولهما : واقعية ساخنة سخون المعارك الحاسمة في حياة الشعوب والثانية : تاريخية ترسل ضياءها من بعيد لتذكرنا بما لا يجب ان ننسى او بما يحسن بنا ان نتذكر ، اولهما فلسطين الواقع والثانية اندلس التاريخ .

وما دامت القصائد معلقة بقضايا عامة تخصنا جميعا فسوف تخاطب متلقين يشاركون بقدر او اخر في صياغة القضية الاصلية ، ولسوف يقارن جمهور المتلقين بالضرورة بين وعيه العام بالقضية وبين موقف الشاعر وما قد يقدمه من اضافات وهذا عين ما يجب ان يفعله الناقد لاستكشاف حجم الابداع الحقيقي في القصيدة .

يمكننا اذن ان نناقش تلك الاعمال الفنية من زاوية الوعي الشعري المتضمن في القصيدة فنقارن بين الصورة الشعرية وبين الصورة الواقعية ، بين الحقيقة الشعرية وبين الحقيقة المادية ، بين الرؤية الشعرية وبين الرؤية المعاشة ، لنستخلص في النهاية نوعية الوعي الذي يقدمه لنا الشاعر والموقف الذي يقترحه نموذجا للاخرين . ولقد يعترض قائل بأن الوعي ادراك عقلي للقضية يتجاوزه الشعر ليقدم لنا رؤية شاملة . وهذا صحيح ولكن علينا ان نتذكر انه لا بد للشاعر اولا ان يدرك عقليا حقائق القضية التي يتعرض لها كأساس يستطيع ان يتجاوزه فيما بعد ان شاء ، وانه بدون توفر ذلك الاساس فان رؤيته الفنية لن تتعدى ان تكون مجرد تهويمات متناثرة وافكار شاردة . كذلك فان المنطق المعقول لا بد ان يقودنا الى الاعتراف بالخصائص المميزة للوعي الشعري باعتباره وعيا خاصا يشمل الادراك المنطقي المجرد والادراك الشعوري بمستوياته المتعددة على خلاف الوعي الرياضي او الوعي العلمي . ولسوف نرى في الخمس قصائد التالية خمسة مستويات للوعي الشعري تبرز لنا مدى ما يحتويه هذا العنصر الفني من خصوبة وتنوع .

١ ـ قصيدة الى وائل زعيتر ـ سعدي يوسف
الوعي الخالق

وائل زعيتر ، صديق الشاعر ، مناضل فلسطيني عظيم ، اغتالته ايدي الارهاب الصهيوني بعيدا عن ارضه ، بينما كان يواصل الدفاع عن قضيته في فرنسا ، وذلك بعد اكتوبر ٧٣ . هذه المعلومات التي تسجل الملامح الخارجية لبطلنا الشهيد غائبة عن القصيدة كذلك فان الصور التقليدية والشائعة للاحتلال الصهيوني والارهاب العسكري ومقاومة الشعب الفلسطيني لم ترد بقصيدة سعدي يوسف . ومع ذلك فاننا نشعر بابعاد المعركة الناشبة بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي على نحو فريد في قصيدة سعدي يوسف . . فقد استطاع الشاعر ان يعيد خلق صورة القهر والمقاومة مرتكزا على عناصر خاصة تمنح الصورة العامة للماساة اصالة وجدة تجدد احساسنا بها . ولقد جاءت الرؤية العامة في القصيدة مخالفة لكل توقعاتنا التقليدية ، كنا نتوقع منه على سبيل المثال تمجيدا للشهيد والاستشهاد وهجاء للطغاة والطغيان ووصفا لافعال التدمير وبطولة المقاومة وفخرا بالصداقة التي ربطت بينه وبين وائل زعيتر ولكن الشاعر تجاوز ذلك كله ولم يشأ ان يرضي توقعاتنا بالسير في الطرق الممهدة ، فلم يكن كل هذا

مما يشبع روح الخالق فيه ولذلك اثر السير في طريقه الخاص ، طريق الوعي الخالق .. وتخلقت بالتدريج الصورة الجديدة للمأساة والبطولة .. لعل اخطر رمز لها في القصيدة تجسد في ذلك المرور البطيء للعجلات على الرمل في البداية كما تجسد في تلك المراقبة التي ظلت عشرين عاما لا تتغير مما يبرز الزمن كأعمق عناصر المأساة والبطولة . ولقد تبحث عن الحزن والغضب والشفقة والخوف والتمزق في قصيدة سعدي يوسف المهداة الى صديقه الشهيد . فلا نجد لتلك المشاعر مكانا ، ومما لا شك فيه ان الشاعر قد احس احساسا عميقا بكل تلك المشاعر ازاء مقتل صديقه ومأساة أمته ، ولكن الوعي الخالق هو الذي استطاع الارتفاع بتلك المشاعر والتوقف فقط عند اللحظات التي تلمس حقيقة ما حدث والغاية التي من أجلها يستشهد الشهداء . عنبا للفلسطين ، خبزا لاطفالها ...

بمثل هذه البساطة الموحية يستعيد الشاعر اللحظات التي كونت بطل المقاومة والتي تصور دوافعه الانسانية وعالمه الغريب ويصور في نفس الوقت مسؤولية الآخرين عما حدث ويحدث ممثلا في ذلك التساؤل الاخير يوجهه الشاعر الى نفسه وينفذ اعمق بكثير من كل النداءات الخطابية البراقة .

لماذا تراقبني ؟

منذ عشرين عاما تراقبني ...

٢ ـ كتابة على جدار معسكر الاسرى ـ سالم جبران

الوعي الفنائي

هنا تستمد الصورة العامة للقصيدة تفاصيلها مما يتردد على شفاه الناس في لحظات التحدي الملتهب ، مقاطع القصيدة كلها أشبه بموجات البحر المتتابعة تعلو الواحدة الى القمة ثم تنحسر مفسحة المجال للموجة التالية كما يتوقع تماما اولئك الذين يحيط بهم نفس المشهد الدموي ويتحدون مثل شاعرهم بالموت . ذلك الشاعر الذي يستعيد تاريخ الاحتلال والمقاومة وهو واقف وسط ساحة المعركة يخاطب اناسا يعرفون جيدا ما يقول ويدفعون الثمن الباهظ يوميا ، ثمن تمسكهم بالارض ودفاعهم عن الحق والحرية .

هنا يتحول الشاعر الى ذاكرة لشعبه ، جذع حي في قلب التربة رغم اللوز المذبوح على اطلال القرى ، تفاؤل لا يهزمه الموت الظاهر . ولا بأس أن يستعيد دوره الفنائي القديم في ذلك المكان بالذات وفي تلك اللحظات بالذات . ففي وسط النار المحرقة قد لا يجد الشاعر وقتا للتأمل والصياغة المتمهلة . كما أن من تحرقهم تلك النار قد لا يصل آذانهم الا ذلك الصوت الصارخ المتحدي ، لقد استمد ذلك الوعي الفنائي اذن مبررات وجوده من تلك الظروف الموضوعية التي تحيط بالشاعر وتعكس آثرها على الفن فتمنحه ذلك المذاق الحاد المباشر التلقائي الذي يبدو كرد فعل سريع وعام تلاحداث تتحدد قيمته بقدر ما فيه من بساطة ، ووضوح ، وتركيز ، تلك الخصائص التي تميز الشكل الفنائي عن غيره من اشكال القصيدة الشعرية ، ولقدتوافرتتلك الصفات في قصيدة « سالم جبران » بقوة واحكام ولذلك نستطيع القول بانها ـ من هذه الزاوية ـ تمثل اضافة جيدة لرصيدنا من الشعر الفنائي الثوري .

٣ ـ وطن وعصفور وقنبلة ـ عصام ترشحاني

الوعي الذاتي

بعكس النوعين السابقين من الوعي اللذين يتسمان بالموضوعية . فاولهما يعيد صياغة العالم في رؤيته الشعرية ، على نحو جديد يكشف لنا ابعادا جديدة فيما نعرف من اشياء . والثاني يسجل احداث ذلك العالم مركزا على الجوهري منها حتى نرى ما نعرف أشد سطوعا ، بعكس النوعين السابقين فان قصيدة عصام ترشحاني يغلب عليها الطابع الذاتي برغم موضوعية العالم الذي تتحدث عنه ، فشخصية الشاعر تبدو اشد ظهورا من القضية نفسها في القصيدة ، ولا نظن ذلك بسبب نقص في وعي الشاعر بالقضية وهو احد ابطالها ، وانما لتردده بين مثالين جماليين ، المثال الفنائي الذي يتوخى رصد الايجابيات العامة والذي سبق ان عرفناه في القصيدة السابقة ، والمثال التقليدي في الحماس والفخر حيث يلجأ الشاعر الى التغني بأمجاده وبطولته . ولقد جاءت القصيدة خليطا من هذين النوعين ، فتمزقت صورتها العامة بين اتجاهين متعارضين . ولعل الشاعر احس بذلك الخلل فاخذ يرفع من صوته ليداريه او لعله يرفع صوته لينسى الجرح النازف منه ومن حوله قليلا ، فالناقد الجالس بعيدا عن لهب المعركة لا يستطيع الوثوق كثيرا بأحكامه على اولئك الشعراء الذين يحترقون بنارها ويحسن به ان يتمهل بعض الوقت حتى تتضح الرؤى ، فنحن نقول ما نقول من زاوية التفسير النقدي فحسب ونترك التقييم لما بعد .

٤ ـ الفارس العربي في الاندلس ـ الدكتور كمال نشأت

الوعي التقليدي

ننتقل بنا قصيدة الدكتور كمال نشأت من ميدان الواقع الى ميدان التاريخ ولا نظن ان النظم المسجل للتاريخ يدخل في باب الشعر ، لذلك يحق لنا ان نتوقع منذ ان نقرأ العنوان ان الشاعر سوف يخرج علينا بوجهة نظر جديدة او برؤية جديدة لذلك الميدان العظيم الحافل بحقائق الحياة الانسانية . ولقد يقال ان الشاعر القديم طالما ارخ الوقائع الهامة في تاريخ امته وترك لنا من ذلك رصيدا من اعظم الشعر بمعيار الحقيقة الفنية وليس بمعيار الحقيقة التاريخية وحدها فلا مانع اذن من ان يكون التسجيل التاريخي للمعارك والفتوحات فنا عظيما . ولكننا يجب ان نلاحظ ملاحظة هامة في هذا الشأن ، وهي ان الشاعر القديم حينما سجل التاريخ القديم كان من اطراف الصراع الذي صنع ذلك التاريخ ، كان صاحب موقف ، والقضية بالنسبة اليه قضية حياة او موت ، وليس مدرسا يلقي على التلاميذ الدرس كما ورد في الكتب المقررة . يحق لنا اذن ان نتوقع جديدا من الشاعر حين يتعرض للتاريخ ، فهذا ما يميزه عن المدرس العادي . ونقرأ قصيدة الدكتور كمال نشأت فلا نجد فيها جديدا ، ولكنه ليس مدرسا عاديا ، انه استاذ ممن يجيدون فن الانشاء ، ولذلك ترتدي الفكرة العادية عنده ثيابا زاهية فضفاضة لا يخفي لمعانها تهافت الهياكل القائمة عليه . وهذا الاهتمام الزائد بالصياغة انما يعكس وعيا تقليديا بالتجربة ينتمي الى عصور الانحطاط الثقافي ومبالغاتها المسرفة في الاهتمام بالشكل والمهارات الصياغية ، ولقد ادى ذلك بالدكتور كمال نشأت مثلا الى اهمال الدافع الحضاري والرسالة الانسانية في اوصافه الاخلاقية التقليدية المستهلكة لجيش الفتح مثل قوله عنه انه : اطهر من قطرة النبع ـ اكرم من مطر في السهوب ـ أشجع من خاض يأس الحروب ـ أشرف عند اللقاءات هامه .. الخ حتى ليمكن أن نندرج هذه القصيدة ببساطة في القصائد العادية في باب الفخر .

٥ ـ البحر من ورائكم ـ حاتم محمد الصكر

الوعي التركيبي

شاع استخدام الرموز المركبة في الشعر العربي المعاصر في الآونة الاخيرة بفضل ادونيس وبعض شعراء النثر الذين اجادوا استخدام هذا الشكل الشعري المعقد والذي يتطلب دقة بالغة في حساب المعادلات بين المدلول الذهني والحسي للرمز وبين ما يقابله في عالم الواقع والتاريخ . ولم يحاول أكثر المقلدين فهم الاساس الفلسفي والغاية الفنية من ذلك الشكل وتصوروا المسألة لا تتعدى خلق تراكيب لغوية جديدة او استخدام الكلمات على نحو غريب فشاعت في اعمالهم نفس كلمات ومصطلحات من قلدوهم ولم يحاولوا الرجوع الى الاصول التي استلهم منها المجددون ذلك الجديد وهي قريبة المنال ان لم يجدوها في اعمال شعراء الغرب المعاصرين مثل اليوت وازراباوند سوف يجدونها في ادبنا الصوفي متحققة على نحو باهر واصيل .

وفي قصيدة حاتم محمد الصكر محاولة لخلق ذلك المعادل الرمزي ، فاذا قارنا بين الرمز المركب الذي تقدمه الصورة العامة للقصيدة وبين الحقيقة التاريخية الشائعة عن فتح الاندلس ورجعنا الى نفس السؤال الذي سألناه في قصيدة الدكتور كمال نشات ، لن نجد جديدا فيما تقدمه لنا هذه القصيدة ايضا ، فالتركيب هنا لا يقوم على اساس فلسفي جديد ولن يخدعنا الشكل فهو ليس اكثر من وصف معقد لافكار بسيطة لا ترتفع بالقصيدة الى مستوى طموح الشاعر . ولا تنفذ في الحقيقة التاريخية الى بعد جديد .

القاهرة

القصص

ممدوح حسن لطفي

خمس قصص كانت هي حصاد القصة القصيرة في العدد السابق من مجلة الآداب لكتاب من القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت . تتفاوت مواهبهم ومدى تمكنهم من أدوات الفن القصصي ، يشتركون جميعا في اقتناص لقطات تعبر عن انحامهم الصادق ومعايشتهم الواعية للحياة وقضايا مجتمعاتهم ، وان تباينت مواقفهم ازاء هذه القضايا من مجرد الانسحاب الى الداخل والانغلاق على الذات او الهروب .. الى المشاركة السلبية من أجل تحقيق التغيير .. حتى نصل الى النموذج الذي لا يجد امامه سوى الالتزام بقضايا المجتمع والعمل على تحريكها قسرا الى الامام والتفاعل معها مهما بدت لنا القضية خاسرة مسبقا ..

القصة الاولى « البحث عن بداية » قصة اديب يبحث عن بداية رائعة على حد قول مؤلفها لقصة جديدة يكتبها ، ويجد البداية في انسان بائس عضه الجوع فاضطر لمغادرة بيته وسط حوادث لبنان الاخيرة وسط القنابل والطلقات القاتلة في شوارع بيروت من أجل ان يطعم اولاده السبعة ، ولكن الرجل عاد جريحا بين الحياة والموت دونما خبز او حلم بخبز ، ونجد الجريح رغم خطورة اصابته واعيا بما حوله ، ويتذكر انه انقطع عن العمل فترة طويلة خوفا من الموت المسيطر على جو المدينة ، وان الخوف كان يحيط به الى درجة انه لم يستطع استغلال فترة وجوده في البيت ليمارس الحب مع زوجته ... فبالرغم من أنه حاول في الليل وحاول في النهار برغبة وجدية الا انه اخفق في ذلك تماما !

وتتداعى المعاني والافكار ، خلال القصه ، عن الحياة والموت والحرية والمسؤولية الانسانية .

ويجد الكاتب في النهاية ان تصعيد هذه الحادثة الفردية المحدودة الى حادثة جماعية تشمل ازمة وطن بأسره من شأنها ان تهز وجدان القارىء بعنف ليبحث له عن دور ، فالوطن في حالة احتضار واذا مات الوطن فمن الذي سيبقى ته ؟ ويصل الكاتب في النهاية الى الفارق الكبير بين بداية تنطلق من المجموع واخرى تنطلق من الفرد . فاذا بدا العمل الادبي متينا انتهى متينا وبذلك يمد قدمه نحو عتبة الخلود . والقصة تمثل التيار الواقعي في القصة القصيرة العربية والذي ما زال له تأثيره وقوته ، وهي تتناول قضية عامة ، قضية الوطن الذي يتعرض لخطر حرب اهلية . ويؤخذ على القصة انها تنضح بالخطابية والزعيق وتتردى في مصيدة المباشرة والشعارات التي تجعلها عظة اجتماعية وليس عملا فنيا متكاملا . كذلك اخفق القاص جواد صيداوي في اختيار اللحظة المأزومة المتوترة ، اذ بدت اللقطة التي اختارها وهي لحظة اختيار بداية للقصة ، شاحبة امام تداعي الافكار من خلال القصة عن أزمة الوطن والخطر الذي يتربص به .

● القصة الثانية « الرحلة الصحراوية » لحميد ناصر الجلاوى ، هي قصة الانسان في كل زمان ومكان ، الانسان صاحب القضية الذي يرفض الاستسلام لقوى البطش ، الانسان الذي يرفض الاستقرار مع الذل ، ويهرب مع أسرته الصغيرة الى الصحراء حيث تدمل جروحه الرمل والشمس تخرج فوق ، فوق وتمسح آثار الضنى .

وبالرغم من ان هذا يعتبر نوعا من الاستسلام والهروب من مواجهة الاستغلال والقهر ، الا انه يمثل في الوقت ذاته الامل في أن تحمل له الصحراء الخلاص من محنته هو وأسرته .

ويختلط في القصة الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتضح القصة بالايقاع الشعري الذي يجعلها تقترب من القصة ـ القصيدة . ويستخدم القاص اسلوب تداعي المعاني بنجاح ، بالاضافة الى أن اللقطات التي اختارها القاص بالرغم من انها تبدو للوهلة الاولى لا رابط بينها الا انها تخلق في النهاية فيما بينها نوعا من الجدل والحوار القادر على ايصال الشحنة الفكرية والوجدانية للمتلقي .

● القصة الثالثة : اللهاث .. في اتجاه معاكس .. أحمد المحمدي صديق ، في هذه القصة نجد الشخصية الاساسية « عبد العال » يواجه الانهام بالقتل ، قتل صديقته هدى ، التي تمثل له العالم الذي يرفضه من جذوره ويرفضه كلية ، قتلها لانها تهزأ بأفكاره في امكانية خلق العالم الجديد ، فهو يرى ان الوجود سوف يظل ينبض من تلقاء نفسه وبغير تدخل من البشر ، وهدى حين ازالت طبقه البخار من على زجاجة الكوكاكولا كانت تحاول تدمير نفس الشيء الذي يلهث من خلفه وهو امكانية تحقيق الكون الواعد الذي يجب أن يحل محل ذلك الذي سبق استنزافه ..

وقد انزلق الكاتب في مواضع نادرة الى المباشرة :

« نحن بشر ، ضائعون ـ تماما ـ احدنا مثل الاخر »

كذلك انزلق الى استخدام بعض الكليشيهات في الاسلوب مثل :
« يرتدي ثيابا مزركشة تليق بطاووس »

والقصة لا تخضع لتسلسل زمني فهي لحظات منفصلة تتواكب معا لتترك عند القارىء ذلك الانطباع العميق والمستمر والذي هو شرط ودليل نجاح القصة القصيرة على حد قول الناقد فرانك اوكونور . والبطل هنا هو تلك الشخصية السلبية التي ترى ان تنتظر حتى يتطور العالم بغير تدخل من أحد ، ويأتي موقفه الايجابي الوحيد وهو قتل صديقته هدى رد فعل مجنون لتلك العزلة التي تحيط به وتشدد خناقها عليه .

● يا حسافا .. وليد نجم

بطلنا هنا هو ذلك النمط السلبي الذي فقد حبيبته ، وتاتي الى أسماعه أغنية حزينة مطلعها « يا حسافا » وهو عنوان أغنية عراقية تعني يا حسرتاه ، فتفجر الذكرى في رأسه وقلبه معا ويشعر انها كتبت من أجله ، وفي محاولة البطل للهروب من أحزانه لا يجد أمامه سوى ان يغرق همومه في الشراب في خمارة صغيرة ويشتم كل شيء ، وفجأة يعذر كل شيء ، ويحاول التملص من سلبيته فكيف يتحرك الاخرون من اجله وهو يقضي نصف عمره مخدرا في المقهى ونصفه الاخر مخدرا ما بين النوم والخمارات ، فهم لن يتحركوا الا اذا تحرك هو .

والقصة ذات مضمون سياسي واضح ، اذ يقول عن حبيبته التي ترمز للوطن « انهم لم يعلموها فك الحروف لذا بقيت مقتنعة بما يجري . »

وفي موضع آخر من القصة يساله عامل المقهى : هل صحيح ان الحكومة سوف تقيم نصبا تذكاريا في الساحة العامة ؟

حدقت في وجهه متفائلا ، فتدارك يقول :

ـ اللهم وفق الحكومة يا رب .

فلا فائدة من التكرار كما يقول فالجميع يهربون من الكلام عندما تصل درجة حرارته الى ٣٧٫٦ درجة مئوية .

والكاتب يبرز بذلك منتهى عجز المجتمع عن التغيير وخوفه حتى من مناقشة ذلك .

وقصة « يا حسافا » لوليد نجم تقف متميزة بين حصاد العدد السابق من القصة القصيرة ، فهي ترتفع عن الزعيق وتنأى بنفسها عن الهتاف والمباشرة وتتميزبشاعرية محلقة في تراكيبها .

وقد نجح وليد نجم في نقل ما يريد التعبير عنه من خلال توظيفه الناجح للرمز بنعومة وسلاسة .

● الآخرون ـ محمود عبد الواحد :

القصة مجموعة من المقاطع المنفصلة التي تتعانق معا لطرح المضمون الذي يريد القاص ايصاله ، وهو في هذه القصة مأساة الانسان في كل زمان ومكان حين يكرس نفسه من أجل قضية يعرفه مسبقا انها قضية خاسرة ، ويخسر البطل في النهاية بالفعل ويفقد حياته بعد ان كاد ان يحقق حلمه او حققه بالفعل ، والقصة اقرب ما تكون الى مضمون رواية « العجوز والبحر » للكاتب الامريكي ارنست هيمنجواى فهي تحكي الاخفاق البطولي للانسان ، فرغم معرفة الانسان وادراكه لعبثية الحياة ولا جدواها ، الا انه يناضل ويناضل على امل ان يحقق ما يريد ولو انه في النهاية يخفق بكل تاكيد ، ولكن لا مفر من النضال البطولي برغم ان النهاية محتومة سلفا ..

والقصة تزخر بالشاعرية المجنحة وسلاسة التراكيب وكل ذلك خلال جو اسطوري مع استخدام الرمز هذه الشاعرية التي تتبدى في مواضع كثيرة من القصة وتصل الى قمتها في المقطع الرابع منها والذي يقول :

« وكان هناك طفل .. يرسم الله بالطبشور على بلاط الشارع .. ويناجيه باكيا .. ثم يجري وراء فراشة الحقول وهو يناديها بيا اختي . وفي الليل يزور قصور الاميرات الصغيرات ويلعب لعبة الفارس الشجاع والاميرة اليتيمة مع أصغرهن واجلاهن .. ولكن تحول فيما بعد الى جامع للتوافيع من أجل قضية خاسرة سلفا . »

وقصة « الآخرون » تتميز بنسيج محكم وخلوها من الزوائد وتعتبر انضج حصاد العدد الماضي ، بل ومن القصص القليلة التي قرأتها وتركت في النفس ذلك الانطباع العميق والمستمر بالرغم من انه غير دقيق ولا محدد !

القاهرة

الفكر العربي

في معركة النهضة

تاليف الدكتور انور عبدالملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ أسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب ، الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتثان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية ، اوامية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم أجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » . ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب

الثمن ٨٥٠ قرشا لبنانيا